النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۝ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۝ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝

سورة النحل

مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية وآياتها ١٢٨ نزلت بعد الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ

(ولا تحزن عليهم) أى لا تتأسف لكفرهم (واخفض جناحك) أى تواضع ولن (المؤمنين) والجناح هنا استعارة (كما أنزلنا على المقتسمين) الكاف من كما متعلقة بقوله أنا النذير أى أنذر قريشا عذابا مثل العذاب الذى أنزل على المقتسمين ، وقيل متعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك كتابا كما أنزلنا على المقتسمين ، واختلف فى المقتسمين فقيل هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه ، فاقتسموا إلى قسمين ، وقيل هم قريش اقتسموا أبواب مكة فى الموسم ، فوقف كل واحد منهم على باب ، يقول أحدهم هو شاعر ، ويقول الآخر هو ساحر ، وغير ذلك (الذين جعلوا القرآن عضين) أى أجزاء ، وقالوا فيه أقوالا مختلفة وواحد عضين عضة وقيل هو من العضه وهو السحر ، والعاضه الساحر ، والمعنى على هذا أنه سحر ، والكلمة محذوفة اللام ولامها على القول الأول واو وعلى الثانى هاء (فوربك لنسئلنهم أجمعين) إن قيل : كيف يجمع بين هذا وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ؟ فالجواب أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ ، وأن السؤال المنفى هو على وجه الاستفهام المحض لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها (فاصدع بما تؤمر) أى صرح به وأنفذه (إنا كفيناك المستهزئين) يعنى قوماً من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعى النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا خمسة : الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل ، والأسود بن عبد المطلب ، والأسود بن عبد يغوث وعدى بن قيس ، وقصة هلاكهم مذكورة فى السير ، وقيل الذين قتلوا ببدر كأبى جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعه وأمية بن خلف وعقبة بن معيط أبى وغيرهم ، والأول أرجح ، لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتأنيس (حتى يأتيك اليقين) أى الموت .

سورة النحل

(أتى أمر الله) قيل يعنى القيامة ، وقيل النصر على الكفار ، وقيل عذاب الكفار فى الدنيا ، ووضع الماضى موضع المستقبل لتحقق وقوع الأمر ولقربه ، وروى أنها لما نزلت وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً فلما قال

بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۝ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

فلا تستعجلوه سكن (ينزل الملائكة بالروح) أى بالنبوة وقيل بالوحى (خلق الإنسان من نطفة) أى من نطفة المنى ، والمراد جنس الإنسان (فإذا هو خصيم مبين) فيه وجهان أحدهما أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه والثانى يخاصم فى ربه ودينه ، وهذا فى الكفار والأول أعم (لكم فيها دفء) أى ما يتدفأ به ، يعنى ما يتخذ من جلود الأنعام وأصوافها من الثياب ، ويحتمل أن يكون قوله لكم متعلقاً بما قبله أو بما بعده ويختلف الوقوف باختلاف ذلك (ومنافع) يعنى شرب ألبانها والحرث بها وغير ذلك (ومنها تأكلون) يحتمل أن يريد بالمنافع ماعدا الأكل فيكون الأكل أمراً زائداً عليها أو يريد بالمنافع الأكل وغيره ثم جرد ذكر الأكل لأنه أعظم المنافع (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) الجمال حسن المنظر وحين تريحون يعنى حين تردونها بالعشى إلى المنازل ، وحين تسرحون حين تردونها بالغداة إلى الرعى ، وإنما قدم تريحون على تسرحون لأن جمال الأنعام بالعشى أكثر لأنها ترجع وبطونها ملأى وضروعها حافلة (وتحمل أثقالكم يعنى الأمتعة وغيرها وقيل أجساد بنى آدم (إلى بلد) أى إلى أى بلد توجهتم ، وقيل يعنى مكة (بشق الأنفس) أى بمشقة (لتركبوها وزينة) استدل بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير ، لكونه علل خلقتها بالركوب والزينة دون الأكل ونصب زينة على أنه مفعول من أجله ، وهو معطوف على موضع لتركبوها (ويخلق مالا تعلمون) عبارة على العموم أى أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها، وكل ماذكر فى هذه الآية شيئاً مخصوصاً فهو على وجه المثال (وعلى الله قصد السبيل) أى على الله تقويم طريق الهدى بنصب الأدلة وبعث الرسل والمراد بالسبيل هنا الجنس ، ومعنى القصد القاصد الموصل ، وإضافته إلى السبيل من إضافة الصفة إلى الموصوف (ومنها جائر) الضمير فى منها يعود على السبيل إذ المراد به الجنس ومعنى الجائر : الخارج عن الصواب : أى ومن الطريق جائر كطريق اليهود والنصارى وغيرهم (ماء لكم) يحتمل أن يتعلق لكم بأنزل أو يكون فى موضع خبر لشراب ، أو صفة لماء (ومنه شجر) يعنى ماينبت بالمطر من الشجر (فيه تسيمون) أى ترعون أنعامكم (وماذرأ لكم فى الأرض) يعنى الحيوان والأشجار والثمار وغير ذلك (مختلفاً ألوانه) أى

يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۞ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۞ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

أصنافه وأشكاله (لحما طريا) يعنى الحوت (حلية تلبسونها) يعنى الجواهر والمرجان (مواخر فيها) جمع ماخرة يقال مخرت السفينة ، والمخر شق الماء ، وقيل صوت جرى الفلك بالرياح (لتبتغوا من فضله) يعنى فى التجارة وهو معطوف على لتأكلوا (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم) الرواسى الجبال ، واللفظ مشتق من رسا إذا ثبت ، وأن تميد فى موضع مفعول من أجله ، والمعنى أنه ألقى الجبال فى الأرض لئلا تميد الأرض وروى أنه لما خلق الله الأرض جعلت تميد فقالت الملائكة لا يستقر على ظهرها هذه أحد فأصبحت وقد أرسيت بالجبال (وأنهارا) قال ابن عطية أنهارا منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل أو خلق أنهارا قال وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على أن ألقى أخص من جعل وخلق : ولو كانت ألقى بمعنى خلق : لم يحتج إلى هذا الإضمار (وسبلا) يعنى الطرق (وعلامات) يعنى ما يستدل به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك ، وهو معطوف على أنهارا وسبلا قال ابن عطية هو نصب على المصدر أى لعلكم تعتبرون ، وعلامات أى عبرة وأعلاما (وبالنجم هم يهتدون) يعنى الاهتداء بالليل فى الطرق ، والنجم هنا جنس ، وقيل المراد الثريا والفرقدان ، فان قيل: قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب وقدم فيه النجم كأنه يقول وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون ؛ فمن المراد بهم؟ فالجواب أنه أراد قريشا لأنهم كان لهم فى الاهتداء بالنجم فى سيرهم علم لم يكن لغيرهم ، وكان الاعتبار ألزم لهم فخصوا ، قال ذلك الزمخشرى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) تقرير يقتضى الرد على من عبد غير الله ، وإنما عبر عنهم بمن لأن فيهم من يعقل ومن لا يعقل ، أو مشاكلة لقوله أفمن يخلق (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ذكر من أول السورة إلى هنا أنواعا من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته ، ولذلك أعقبها بقوله (أفمن يخلق كمن لا يخلق ، وفيها أيضا تعداد لنعمه على خلقه ولذلك أعقبها بقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ثم أعقب ذلك بقوله إن الله لغفور رحيم: أى يغفر لكم التقصير فى شكر نعمه (والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) نفى عن الأصنام صفات الربوبية ، وأثبت لهم أضدادها ، وهى أنهم مخلوقون غير خالقين ، وغير أحياء وغير عالمين بوقت البعث ، فلما قام البرهان ، على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده ، فقال: إلهكم إله واحد (أموات غير أحياء) أى لم تكن لهم حياة قط ولا تكون ، وذلك أغرق فى موتها ممن تقدمت له حياة ثم مات ، ثم يعقب موته حياة (وما يشعرون أيان يبعثون) الضمير فى يشعرون الأصنام وفى يبعثون للكفار الذين عبدوهم ، وقيل إن الضميرين للكفار (قلوبهم منكرة) أى تنكر وحدانية الله عز وجل (لا جرم) أى لا بد ولا شك ،

الْمُسْتَكْبِرِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُوٓا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ * قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْىَ الْيَوْمَ وَالسُّوٓءَ عَلَى الْكَٰفِرِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا

وقيل إن لا نفى لما تقدم ، وجرم معناه وجب ، أو حق ، وأن فاعلة بجرم (أساطير الأولين) أى ما سطره الأولون ، وكان النضر بن الحارث قد اتخذ كتاب تواريخ ، وكان يقول إنما يحدث محمد بأساطير الأولين ، وحديثى أجمل من حديثه ، وماذا يجوز أن يكون اسما واحدا مركبا من ما وذا ، ويكون منصوبا بأنزل أو أن تكون ما استفهامية فى موضع رفع بالابتداء ، وذا بمعنى الذى ، وفى أنزل ضمير محذوف (ليحملوا أوزارهم) اللام لام العاقبة والصيرورة : أى قالوا أساطير الأولين ، فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم ، ويحتمل أن تكون لام الأمر (بغير علم) حال من المفعول فى يضلونهم ، أو من الفاعل (فأتى الله بنيانهم من القواعد) الآية : قيل المراد بالذين من قبلهم نمروذ ، فإنه بنى صرحا ليصعد فيه إلى السماء بزعمه ، فلما علا فيه فرسخين هدمه الله وخر سقفه عليه ، وقيل المراد بالذين من قبلهم كل من كفر من الأمم المتقدمة ، ونزلت به عقوبة الله فالبنيان والسقف والقواعد على هذا تمثيل (ويقول أين شركائى) توبيخ للمشركين وأضاف الشركاء إلى نفسه أى على زعمكم ودعواكم ، وفيه تهكم بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) أى تعادون من أجلهم فمن قرأ بكسر النون فالمفعول ضمير المتكلم وهو الله عز وجل ، ومن قرأ بفتحها فالمفعول محذوف تقديره تعادون المؤمنين من أجلهم (قال الذين أوتوا العلم) هم الأنبياء والعلماء من كل أمة ، وقيل يعنى الملائكة ، واللفظ أعم من ذلك (ظالمى أنفسهم) حال من الضمير المفعول فى تتوفاهم (فألقوا السلم) أى استسلموا للموت (ما كنا نعمل من سوء) أى قالوا ذلك ، ويحتمل قولهم لذلك أن يكونوا قصدوا الكذب اعتصاما به كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين أو يكونوا أخبروا على حسب اعتقادهم فى أنفسهم فلم يقصدوا الكذب ، ولكنه كذب فى نفس الأمر (بلى) من قول الملائكة للكفار : أى قد كنتم تعملون السوء (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين : قابل ذلك بمقالة المؤمنين ، فإن قيل : لم نصب جواب المؤمنين وهو قولهم خيرا ، ورفع جواب الكافرين وهو أساطير الأولين ؟ فالجواب : أن قولهم خيرا منصوب بفعل مضمر تقديره أنزل خيرا ، ففى ذلك اعتراف بأن الله أنزله ، وأما أساطير الأولين فهو خبر ابتداء مضمر تقديره هو أساطير الأولين فلم يعترفوا بأن الله أنزله فلا وجه لنصبه ، ولو كان منصوبا لكان الكلام متناقضا لأن قولهم أساطير الأولين يقتضى التكذيب بأن الله أنزله ، والنصب بفعل مضمر يقتضى التصديق بأن الله أنزله ، لأن تقديره أنزل ، فإن قيل : يلزم مثل هذا فى الرفع ، لأن تقديره هو أساطير الأولين فإنه غير مطابق للسؤال الذى هو ماذا أنزل ربكم ، فالجواب : أنهم عدلوا بالجواب

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ۝ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ۝ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا

عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين ، ولم ينزله الله (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) ارتفع حسنة بالابتداء وللذين خبره ، والجملة بدل من خيرا ، وتفسير للخير الذى قالوا ، وقيل هى استئناف كلام الله تعالى ، لا من كلام الذين قالوا خيراً (جنات عدن) يحتمل أن يكون هو اسم الممدوح بنعم ، فيكون مبتدأ وخبره فيما قبله أو خبر ابتداء مضمر ، ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره يدخلونها أو مضمر تقديره لهم جنات عدن (هل ينظرون) أى ينتظرون ، والضمير للكفار وإلا أن تأتيهم الملائكة يعنى لقبض أرواحهم (أو يأتى أمر ربك) يعنى قيام الساعة أو العذاب فى الدنيا (فأصابهم سيئات ما عملوا) أى أصابهم جزاء سيئات ما عملوا (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى أحاط بهم العذاب الذى كانوا به يستهزؤن ، وهذا تفسيره حيث وقع (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء) قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم أى أن فعلنا هو بمشيئة الله فهو صواب ، ولو شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه ، والرد عليهم بأن الله نهى عن الشرك ولكنه قضى على من يشاء من عباده . ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك فى الآخرة على وجه التمنى فإن «لو» تكون للتمنى والمعنى على هذا أنهم لما رأوا العذاب تمنوا أن يكونوا لم يعبدوا غيره ولم يحرموا ما أحل الله من البحيرة وغيرها (فإن الله لا يهدى من يضل) قرئ بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول أى لا يهدى غير الله من يضله الله وقرئ يهدى بفتح الياء وكسر الدال ، والمعنى على هذا لا يهدى الله من قضى بإضلاله (وما لهم من ناصرين) الضمير عائد على من يضل ، لأنه فى معنى الجمع (بلى) رد على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت أى أنه يبعثه (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) اللام تتعلق بما دل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم ، وهذا برهان أيضاً على

أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ
أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي
إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ
إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ
رَحِيمٌ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ۝

البعث ، فان الناس مختلفون فى أديانهم ومذاهبهم فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه (إنما قولنا لشىء الآية : برهان أيضاً على البعث لأنه داخل تحت قدرة الله تعالى (والذين هاجروا فى الله) يعنى الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة ، لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعدها ، وقيل نزلت فى أبى جندل بن سهيل وخبره مذكور فى السير فى قصة الحديبية ، وهذا بعيد لأن السورة نزلت قبل ذلك (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) وعد أن ينزلهم بقعة حسنة وهى المدينة التى استقروا بها ، وقيل إن حسنة صفة لمصدر : أى تبوئة حسنة وقرئ لنثوينهم بالثاء من الثواب (الذين صبروا) وصف للذين هاجروا ، ويحتمل إعرابه أن يكون نعتاً أو على تقدير هم الذين أو مدح الذين (إلا رجالا) رد على من استبعد أن يكون الرسول من البشر (فاسألوا أهل الذكر) يعنى أحبار اليهود والنصارى أى لأن جميعهم يشهدون أن الرسول من البشر (بالبينات والزبر) يتعلق بأرسلنا الذى فى أول الآية على التقديم والتأخير فى الكلام ، أو بأرسلنا مضمراً وبيوحى أو بتعلمون (وأنزلنا إليك الذكر) يعنى القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) يحتمل أن يريد لتبين القرآن بسردك نصه وتعليمه للناس ، أو لتبين معانيه بتفسير مشكله ، فيدخل فى هذا ما بينته السنة من الشريعة (أفأمن الذين مكروا السيئات) يعنى كفار قريش عند جمهور المفسرين ، والسيئات تحتمل وجهين : أحدهما أن يريد به الأعمال السيئات : أى المعاصى فيكون مكروا يتضمن معنى عملوا ، والآخر أن يريد بالمكرات السيئات مكرهم بالنبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيكون المكر على بابه (أو يأخذهم فى تقلبهم) يعنى فى أسفارهم (فما هم بمعجزين) أى بمفلتين حيث وقع (أو يأخذهم على تخوف) فيه وجهان أحدهما أن معناه على تنقص أى ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئا بعد شىء حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم جملة واحدة ، ولهذا أشار بقوله ، فإن ربكم لرؤوف رحيم ، لأن الأخذ هكذا أخف من غيره ، وقد كان عمر بن الخطاب أشكل عليه معنى التخوف فى الآية حتى قال له رجل من هذيل التخوف التنقص فى لغتنا ، والوجه الثانى أنه من الخوف أى يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا هم ذلك ، فيأخذهم بعد أن توقعوا العذاب وخافوه ذلك خلاف قوله وهم لا يشعرون (أو لم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيأ ظلاله) معنى الآية اعتبار بانتقال الظل ، ويعنى بقوله ما خلق الله من شىء : الأجرام التى لها ظلال من الجبال والشجر والحيوان

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ۝ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۝ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا

وغير ذلك ، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلها إلى جهة ، ومن الزوال إلى الليل إلى جهة أخرى ، ثم يمتد الظل ويعم بالليل إلى طلوع الشمس ، وقوله يتفيؤ من الفيء وهو الظل الذي يرجع بعكس ما كان غدوة ، وقال رؤبة بن العجاج يقال بعد الزوال ظل وفيء ، ولا يقال قبله إلا ظل ، ففي لفظة يتفيؤ هنا تجوز ما لوقوع الخصوص في موضع العموم لأن المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره ، فوضع يتفيؤ موضع ينتقل أو يميل والضمير في ظلاله يعود على ما أو على شيء (عن اليمين والشمائل) يعني عن الجانبين أي يرجع الظل من جانب إلى جانب ، واليمين بمعنى الأيمان ، واستعار هنا الأيمان والشمائل للأجرام ، فان اليمين والشمائل إنما هما في الحقيقة الإنسان (سجدا لله) حال من الظلال ، وقال الزمخشري حال من الضمير في ظلاله إذ هو بمعنى الجمع لأنه يعود على قوله من شيء ، فعلى الأول يكون السجود من صفة الظلال ، وعلى الثاني يكون من صفة الأجرام واختلف في معنى هذا السجود ، فقيل عبر به عن الخضوع والانقياد ، وقيل هو سجود حقيقة (وهم داخرون) أي صاغرون وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة) يحتمل أن يكون من دابة بيان لما في السموات وما في الأرض معا لأن كل حيوان يصح أن يوصف بانه يدب ، ويحتمل أن يكون بيانا لما في الأرض خاصة وإنما قال ما في السموات وما في الأرض ليعم العقلاء وغيرهم ، ولو قال من في السموات لم يدخل في ذلك غير العقلاء قاله الزمخشري (والملائكة) إن كان قوله من دابة بيانا لما في السموات والأرض ، فقد دخل الملائكة في ذلك ، وكرر ذكرهم تخصيصا لهم بالذكر وتشريفا وإن كان من دابة لما في الأرض خاصة فلم تدخل الملائكة في ذلك فعطفهم على ما قبلهم (يخافون ربهم من فوقهم) هذا إخبار عن الملائكة) وهو بيان نفي الاستكبار ، ويحتمل أن يريد فوقية القدرة والعظمة أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها ، وقيل معناه يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم (لا تتخذوا إلهين اثنين) وصف الإلهين باثنين تأكيدا وبيانا للمعنى وقيل إن اثنين مفعول أول وإلهين مفعول ثان ، فلا يكون في الكلام تأكيد (فإياي فارهبون) خرج من الغيبة إلى التكلم ، لأن الغائب هو المتكلم ، وإياي مفعول بفعل مضمر ، ولا يعمل فيه فارهبون لأنه قد أخذ معموله (وله الدين واصبا) أي واجبا وثابتا ، وقيل دائما ، وانتصابه على الحال من الدين (وما بكم من نعمة فمن الله) يحتمل أن تكون الواو للاستئناف أو للحال فيكون الكلام متصلا بما قبله : أي كيف تتقون غير الله ، وما بكم من نعمة فمنه وحده (فإليه تجأرون) أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع (ليكفروا بما آتيناهم) اللام لام الأمر على وجه التهديد لقوله بعده : فتمتعوا فسوف تعلمون ، فعلى هذا يبتدئ بها ، وقيل هي لام العاقبة ، فعلى هذا توصل بما قبلها لأنها في الأصل لام كي ، وذلك بعيد في المعنى ، والكفر هنا يحتمل أن يريد به كفر النعم لقوله بما

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ * تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ

آتيناهم ، أو كفر الجحود والشرك لقوله بربهم يشركون (فتمتعوا) يريد التمتع فى الدنيا ، وذلك أمر على وجه التهديد (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) الضمير فى يجعلون لكفار العرب فإنهم كانوا يجعلون للأصنام نصيبا من ذبائحهم وغيرها ، والمراد بقوله لما لا يعلمون الأصنام ، والضمير فى لا يعلمون للكفار أى لا يعلمون ربوبيتهم ببرهان ولا بحجة ، وقيل الضمير فى لا يعلمون للأصنام أى الأشياء غير عالمة وهذا بعيد (ويجعلون لله البنات) إشارة إلى قول الكفار إن الملائكة بنات الله ، ثم نزه تعالى نفسه عن ذلك بقوله (سبحانه ولهم مايشتهون) المعنى أنهم يجعلون لأنفسهم مايشتهون يعنى بذلك الذكور من الأولاد ، وأما الإعراب فيجوز أن يكون مايشتهون مبتدأ وخبره المجرور قبله ، وأن يكون مفعولا بفعل مضمر تقديره ويجعلون لأنفسهم مايشتهون ، وأن يكون معطوفا على البنات على أن هذا يمنعه البصريون ، لأنه من باب ضربتنى وكان يلزم عندهم أن يقال لأنفسهم (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم) إخبار عن حال العرب فى كراهتهم البنات ، وظل هنا يحتمل أن تكون على بابها ، أو بمعنى صار ، والسواد عبارة عن العبوس والغم ، وقد يكون معه سواد حقيقة ، وكظيم قد ذكر فى يوسف (يتوارى من القوم) أى يستخفى من أجل سوء مابشر به (أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب) المعنى يدبر وينظر هل يمسك الأنثى التى بشر بها على هوان وذل لها ، أو يدفنها فى التراب حية ، وهى الموءودة ، وهذا معنى يدسه فى التراب (مثل السوء) أى صفة السوء من الحاجة إلى الأولاد وغير ذلك من صفة الافتقار والنقص (ولله المثل الأعلى) أى الوصف الأعلى من الغنى عن كل شىء والنزاهة عن صفات المخلوقين (ولو يؤاخذ) يعنى لو يعاقبهم فى الدنيا (بظلمهم) أى بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) الضمير الأرض (من دابة) يعم بنى آدم وغيرهم وهذا يقتضى أن تهلك الحيوانات بذنوب بنى آدم ، وقد ورد ذلك فى الأثر ، وقيل يعنى بنى آدم خاصة (ويجعلون لله ما يكرهون) يعنى البنات (أن لهم الحسنى) أن بدل من الكذب ، والحسنى هنا قيل هى الجنة ، وقيل ذكور الأولاد (وأنهم مفرطون) بكسر الراء والتخفيف من الإفراط : أى متجاوزون الحد فى المعاصى ، أو بفتح الراء والتخفيف من الفرط أى معجلون إلى النار ، وبكسر الراء والتشديد من التفريط (فهو وليهم اليوم) يحتمل أن يريد باليوم وقت نزول الآية أو يوم القيامة (وهدى ورحمة) معطوفان على

الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ۝ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ

موضع لتبين ، وانتصبا على أنهما مفعول من أجله : أى لأجل البيان والهدى والرحمة (نسقيكم) بفتح النون وضمها لغتان ، يقال سقى وأسقى (مما فى بطونه) الضمير للأنعام ، وإنما ذكر لأنه مفرد بمعنى الجمع كقولهم ثوب أخلاق لأنه اسم جنس ، وإذا أنث فهو جمع نعم (من بين فرث ودم) الفرث هى ما فى الكرش من العلف ، والمعنى أن الله يخلق اللبن متوسطا بين الفرث والدم يكتنفانه ، ومع ذلك فلا يغيران له لونا ولا طعما ولا رائحة ، ومن فى قوله مما فى بطونه للتبعيض قوله من بين فرث لابتداء الغاية (سائغا للشاربين) يعنى سهلا للشرب حتى قيل لم يغص أحد قط باللبن (ومن ثمرات النخيل والأعناب) المجرور يتعلق بفعل محذوف تقديره نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أى من عصيرها ، ويدل عليه نسقيكم الأول أو يكون من ثمرات معطوف على مما فى بطونها أو يتعلق من ثمرات بتتخذون ، وكرر منه توكيدا أو يكون تتخذون صفة لمحذوف تقديره شيئا تتخذون (سكرا) يعنى الخمر ، ونزل ذلك قبل تحريمها فهى منسوخة بالتحريم ، وقيل إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التى فى الخمر ، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم ، فلا نسخ ، وقيل السكر المائع من هاتين الشجرتين كالخل والرب والرزق الحسن : العنب والتمر والزبيب (وأوحى ربك إلى النحل) الوحى هنا بمعنى الإلهام ، فإن الوحى على ثلاثة أنواع : وحى كلام ، ووحى منام ، ووحى إلهام (أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) أن مفسرة للوحى الذى أوحى إلى النحل ، وقد جعل الله بيوت النحل فى هذه الثلاثة الأنواع إما فى الجبال وكواها ، وإما فى متجوف الأشجار وإما فيما يعرش بنى آدم من الأجباح والحيطان ونحوها ومن فى المواضع الثلاثة للتبعيض لأن النحل إنما تتخذ بيوتا فى بعض الجبال ، وبعض الشجر ، وبعض الأماكن وعرش معناه هيأ أو بنى ، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأعصان والخشب (ثم كلى من كل الثمرات) عطف كلى على اتخذى ، ومن للتبعيض ، وذلك أنها إنما تأكل النوار من الأشجار ، وقيل المعنى من كل الثمرات التى تشتهيها (فاسلكى سبل ربك) يعنى الطرق فى الطيران ، وأضافها إلى الرب لأنها ملكه وخلقه (ذللا) أى مطيعة منقادة ويحتمل أن يكون حالا من السبل ، قال مجاهد لم يتعرض قط على النحل طريق أو حالا من النحل أى منقادة لما أمرها الله به (يخرج من بطونها شراب) يعنى العسل (مختلفا ألوانه) أى منه أبيض وأصفر وأحمر (فيه شفاء للناس) الضمير للعسل ، لأن أكثر الأدوية مستعملة من العسل كالمعاجين والأشربة النافعة من الأمراض وكان ابن عمر يتداوى به من كل شىء ، فكأنه أخذه على العموم وعلى ذلك الحديث عن النبى صلى الله عليه

الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ * فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ

وسلم أن رجلا جاء إليه ، فقال إن أخي يشتكي بطنه ، فقال اسقه عسلا ، فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع ، قال فاذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك ، فسقاه فشفاه الله عز وجل (إلى أرذل العمر) أي إلى أخسه وأحقره ، وهو الهرم وقيل حده خمسة وسبعين عاما ، وقيل ثمانون ، والصحيح أنه لا يحصر إلى مدة معينة ، وأنه يختلف بحسب الناس (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) اللام لام الصيرورة أي يصير إذا هرم لا يعلم شيئا بعد أن كان يعلم قبل الهرم ، وليس المراد نفي العلم بالكلية ، بل ذلك عبارة عن قلة العلم لغلبة النسيان ، وقيل المعنى لئلا يعلم زيادة على علمه شيئا (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) الآية في معناها قولان : أحدهما أنها احتجاج على الوحدانية كأنه يقول أنتم لا ترضون بين أنفسكم وبين مماليككم في الرزق ، ولا تجعلونهم شركاء لكم ، فكيف تجعلون عبيدي شركاء لي ، والآخر أنها عتاب وذم لمن لا يحسن إلى مملوكه حتى يرد ما رزقه الله عليه كما جاء في الحديث : أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ، والأول أرجح (أبنعمت الله يجحدون) الجحد هنا على المعنى الأول إشارة إلى الإشراك بالله ، وعبادة غيره ، وعلى المعنى الثاني إشارة إلى جنس المماليك فيما يجب لهم من الإنفاق (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعني الزوجات ، ومن أنفسكم يحتمل أن يريد من نوعكم وعلى خلقتكم ، أو يريد أن حواء خلقت من ضلع آدم ، وأسند ذلك إلى بني آدم لأنهم من ذريته (وحفدة) جمع حافد قال ابن عباس : هم أولاد البنين ، وقيل الأصهار وقيل الخدم ، وقيل البنات إلا أن لفظ المذكور لا يدل عليهم ، والحفدة في اللغة الخدمة (ويعبدون من دون الله) الآية : توبيخ للكفار ، ورد عليهم في عبادتهم الأصنام ، وهي لا تملك لهم رزقا ، وانتصب رزقا لأنه مفعول بيملك ، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسما لما يرزق ، فإن كان مصدرا فإعراب شيئا مفعول به ، لأن المصدر نصيب المفعول ، وإن كان اسما فإعراب شيئا بدل منه (ولا يستطيعون) الضمير عائد على ما لأن المراد به الإلهة ، ونفي الاستطاعة بعد نفي الملك ، لأن نفيها أبلغ في الذم (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا) الآية : مثل لله تعالى والأصنام ، فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء ، والله تعالى له الملك ، وبيده الرزق ويتصرف فيه كيف يشاء ، فكيف يسوى بينه وبين الأصنام ، وإنما قال لا يقدر على شيء لأن بعض العبيد يقدرون على بعض الأمور كالمكاتب والمأذون له (ومن رزقناه) من هنا نكرة موصوفة ، والمراد بها من هو حر قادر كأنه قال وحرا رزقناه ليطابق عبدا ، ويحتمل أن تكون موصولة (هل

مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ السَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم

يستوون) أى هل يستوى العبيد والأحرار الذين ضرب لهم المثل (الحمد لله) شكرا لله على بيان هذا المثل ووضوح الحق (بل أكثرهم لا يعلمون) يعنى الكفار (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) الآية : مثل لله تعالى وللأصنام كالذى قبله ، والمقصود منهما إبطال مذاهب المشركين ، وإثبات الوحدانية لله تعالى ، وقيل إن الرجل الأبكم أبو جهل ، والذى يأمر بالعدل عمار بن ياسر ، والأظهر عدم التعيين (وهو كل على مولاه) الكل الثقيل يعنى أنه عيال على وليه أو سيده ، وهو مثل للأصنام والذى يأمر بالعدل هو الله تعالى (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) بيان لقدرة الله على إقامتها ، وأن ذلك يسير عليه كقوله : ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ، وقيل المراد سرعة إتيانها (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) الأمهات جمع أم زيدت فيه الهاء فرقا بين من يعقل ومن لا يعقل ، وقرئ بضم الهمزة وبكسرها إتباعا للكسرة قبلها (فى جو السماء) أى فى الهواء البعيد من الأرض (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) السكن مصدر يوصف به ، وقيل هو فعل بمعنى مفعول ومعناه ما يسكن فيه كالبيوت أو يسكن إليه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) يعنى الأدم من القباب وغيرها (تستخفونها) أى تجدونها خفيفة (يوم ظعنكم ويوم إقامتكم) يعنى فى السفر والحضر ، واليوم هنا بمعنى الوقت ويقال ظعن الرجل إذا رحل ، وقرئ ظعنكم بفتح العين ، وإسكانها تخفيفا (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الأصواف للغنم ، والأوبار للإبل ، والأشعار للمعز والبقر (أثاثا) الأثاث متاع البيت من البسط وغيرها ، وانتصابه على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره جعل (ومتاعا إلى حين) أى إلى وقت غير معين ، ويحتمل أن يريد إلى أن تبلى وتفنى أو إلى أن تموت (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) أى نعمة عددها الله عليهم بالظل ، لأن الظل مطلوب فى بلادهم محبوب لشدة حرها ، ويعنى بما خلق من الشجر وغيرها (وجعل لكم من الجبال أكنانا) الأكنان جمع كن ، وهو ما يقى من المطر والريح وغير ذلك ، ويعنى بذلك الغيران والبيوت المنحوتة فى الجبال (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) السرابيل هى الثياب من القمص وغيرها ، وذكر وقاية الحر ولم يذكر وقاية البرد ، لأن وقاية الحر أهم عندهم لحرارة بلادهم ، وقيل لأن ذكر أحدهما يغنى عن ذكر الآخر (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعنى دروع الحديد (يعرفون نعمت الله)

بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ۝ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَٰفِرُونَ ۝ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ۝ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ

إشارة إلى ماذكر من النعم من أول السورة إلى هنا والضمير فى يعرفون للكفار، وإنكارهم لنعم الله إشراكهم به وعبادة غيره، وقيل نعمة الله هنا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ويوم نبعث من كل أمة شهيداً) أى يشهد عليهم بإيمانهم وكفرهم (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أى لا يؤذن لهم فى الاعتذار (ولاهم يستعتبون) أى لا يسترضون، وهو من العتبى بمعنى الرضى (ولاهم ينظرون) يحتمل أن يكون بمعنى التأخير أو بمعنى النظر: أى لا ينظر الله إليهم (فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون) الضمير فى القول للمعبودين والمعنى أنهم كذبوهم فى قولهم أنهم كانوا يعبدونهم، كقولهم ما كنتم إيانا تعبدون، فإن قيل: كيف كذبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم؟ فالجواب أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، ويحتمل أن يكون تكذيبهم لهم فى تسميتهم شركاء لله، لا فى العبادة (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أى استسلموا له وانقادوا (زدناهم عذابا فوق العذاب) روى أن الزيادة فى العذاب هى حيات وعقارب كالبغال تلسعهم (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) يعنى بالعدل: فعل الواجبات، وبالإحسان: المندوبات، وذلك فى حقوق الله تعالى وفى حقوق المخلوقين، قال ابن مسعود: هذه أجمع آية فى كتاب الله تعالى (وإيتاء ذى القربى) الإيتاء مصدر آتى بمعنى أعطى، وقد دخل ذلك فى العدل والإحسان، ولكنه جرده بالذكر اهتماما به (وينهى عن الفحشاء) قيل يعنى الزنا، واللفظ أعم من ذلك (والمنكر) هو أعم من الفحشاء، لأنه يعم جميع المعاصى (والبغى) يعنى الظلم (ولا تنقضوا الأيمان) هذا فى الأيمان التى فى الوفاء بها خير، وأما ما كان تركه أولى، فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير منه، كما جاء فى الحديث، أو تكون الأيمان هنا ما يحلفه الإنسان فى حق غيره، أو معاهدة لغيره (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أى رقيباً ومتكفلا بوفائكم بالعهد، وقيل إن هذه الآية نزلت

مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ . وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . قُلْ

فى بيعة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل فيما كان بين العرب من حلف فى الجاهلية (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها) شبه الله من يحلف ولم يف بيمينه بالمرأة التى تغزل غزلا قوياً ثم تنقضه ، وروى أنه كان بمكة امرأة حمقاء تسمى ريطة بنت سعد ، كانت تفعل ذلك وبها وقع التشبيه ، وقيل إنما شبه بامرأة غير معينة (أنكاثاً) جمع نكث وهو ما ينكث أى ينقض ، وانتصابه على الحال (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) الدخل الدغل ، وهو قصد الخديعة (أن تكون أمة هى أربى من أمة) أن فى موضع المفعول من أجله : أى بسبب أن تكون أمة ، ومعنى أربى : أكثر عدداً أو أقوى ، ونزلت الآية فى العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى ، فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت بالأولى وحالفت الثانية ، وقيل الإشارة بالأربى هنا الى كفار قريش إذ كانوا حينئذ أكثر من المسلمين (إنما يبلوكم الله به) الضمير الأمر بالوفاء ، أو لكون أمة هى أربى من أمة ، فإن بذلك يظهر من يحافظ على الوفاء أولا (فتزل قدم بعد ثبوتها) استعارة فى الرجوع عن الخير إلى الشر ، وإنما أفرد القدم ونكرها : لاستعظام الزلل فى قدم واحدة فكيف فى أقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) يعنى فى الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) يدل على أن الآية فيمن بايع النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم (ولكم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلا) الثمن القليل عرض الدنيا ، وهذا نهى لمن بايع النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أن ينكث لأجل ضعف الإسلام حينئذ وقوة الكفار ورجاء الانتفاع فى الدنيا إن رجع عن البيعة (ما عندكم ينفد) أى يفنى (فلنحيينه حياة طيبة) يعنى فى الدنيا ، قال ابن عباس هى الرزق الحلال ، وقيل هى القناعة ، وقيل هى حياة الآخرة (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) ظاهر اللفظ أن يستعاذ بعد القراءة . لأن الفاء تقتضى الترتيب ، وقد شذ قوم فأخذوا بذلك ، وجمهور الأمة على أن الاستعاذة قبل القراءة . وتأويل الآية : إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا) أى ليس له عليهم سبيل ولا يقدر على إضلالهم (إنما سلطانه على الذين يتولونه) أى يتخذونه ولياً (والذين هم به مشركون) الضمير لإبليس ، والباء سببية (وإذا

نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ
إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۝
مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ

بدلنا آية ، كان آية) التبديل هنا النسخ ، كان الكفار اذا نسخت آية يقولون هذا افتراء ولو كان من عند الله لم يبدل (والله أعلم بما ينزل) جملة اعتراض بين الشرط وجوابه وفيها رد على الكفار أى الله أعلم بما يصلح للعباد فى وقت ثم ما يصلح لهم بعد ذلك (قل نزله روح القدس) يعنى جبريل (بالحق) أى مع الحق فى أوامره ونواهيه وأخباره ، ويحتمل أن يكون قوله بالحق بمعنى حقاً ، أو بمعنى أنه واجب النزول (أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) كان بمكة غلام أعجمى اسمه يعيش ، وقيل كانا غلامين اسم أحدهما جبر والآخر يسار ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام ، فقالت قريش هذان يعلمان محمداً (لسان الذى يلحدون إليه أعجمى) اللسان هنا بمعنى اللغة والكلام ، ويلحدون من ألحد إذا مال ، وقرئ بفتح الياء من لحد ، وهما بمعنى واحد ، وهذا رد عليهم فإن الشخص الذى أشاروا إليه أنه يعلمه أعجمى اللسان ؛ وهذا القرآن عربى فى غاية الفصاحة ، فلا يمكن أن يأتى به أعجمى (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) هذا فى حق من علم الله منه أنه لا يؤمن كقوله : إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، فاللفظ عام يراد به الخصوص ، كقوله : إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم الآية ، وقال ابن عطية : المعنى إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بالله ولكنه قدم فى هذا الترتيب وأخرتهكماً بتقبيح أفعالهم (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) رد على قولهم إنما أنت مفتر : يعنى إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يخاف الله وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه (فأولئك هم الكاذبون) الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله : أى هم الذين عادتهم الكذب لأنهم لا يبالون بالوقوع فى المعاصى ، ويحتمل أن يكون الكذب المنسوب إليهم قولهم إنما أنت مفتر (من كفر بالله) الآية : من شرطية فى موضع رفع بالابتداء ، وكذلك من فى قوله من شرح ، لأنه تخصيص من الأول ، وقوله فعليهم غضب : جواب عن الأولى والثانية ، لأنهما بمعنى واحد ، أو يكون جواباً للثانية ، وجواب الأولى محذوف يدل عليه جواب الثانية ، وقيل من كفر بدل من الذين لا يؤمنون أو من المبتدأ فى قوله أولئك هم الكاذبون ، أو من الخبر (إلا من أكره) استثنى من قوله من كفر ، وذلك أن قوما ارتدوا عن الإسلام . فنزلت فيهم الآية ، وكان فيهم من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر ، وهو يعتقد الإيمان منهم عمار بن ياسر ، وصهيب ، وبلال فعذرهم الله ، روى أن عمار بن ياسر شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع به من العذاب وما تسامح به من القول ، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم : كيف تجد قلبك ، قال أجده مطمئنا بالإيمان ، قال فأجبهم بلسانك ، فإنه لا يضرك ، وهذا الحكم فى من أكره بالنطق على الكفر ، وأما الإكراه على فعل هو كفر كالسجود للصنم فاختلف هل تجوز الإجابة إليه أم لا ؟ فأجازه الجمهور ، ومنعه قوم وكذلك قال مالك : لا يلزم المكره يمين ولا طلاق ولا عتق ولا شىء فيما بينه وبين الله ، ويلزمه ما كان من

غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۝ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۝ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ

حقوق الناس ، ولاتجوز الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد أو أخذ ماله (ذلك بأنهم استحبوا الحيوة الدنيا) الإشارة إلى العذاب ، والباء للتعليل ، فعالى عذابهم بعلتين : أحدهما إيثارهم الحياة الدنيا ، والأخرى أن الله لا يهديهم (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) قرأه الجمهور فتنوا بضم الفاء : أى عذبوا فالآية على هذا فى عمار وشبهه من المعذبين على الإسلام ، وقرأ ابن عامر بفتح الفاء : أى عذاب المسلمين ، فالآية على هذا فيمن عذب المسلمين ، ثم هاجر وجاهد كالحضرمى وأشباهه (إن ربك من بعدها لغفور رحيم) كرر إن ربك توكيداً ، والضمير فى بعدها يعود على الأفعال المذكورة وهى الهجرة والجهاد والصبر (يوم تأتى) يحتمل أن يتعلق بغفور رحيم أو بمحذوف تقديره اذكر وهذا أظهر (كل نفس) النفس هنا بمعنى الجملة كقولك إنسان ، والنفس فى قوله عن نفسها بمعنى الذات المعينة التى نقيضها الغير أى تجادل عن ذاتها لاعن غيرها كقولك جاء زيد نفسه وعينه (تجادل عن نفسها) أى تحتج وتعتذر ، فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ؟ فالجواب أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة) الآية . قيل إن القرية المذكورة مكة كانت بهذه الصفة التى ذكرها الله (فكفرت بأنعم الله) يعنى بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وقيل إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك فضرب الله بها مثلا لمكة ، وهذا أظهر ، لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم ، والضمير فى قوله فكفرت وأذاقها : يراد بها أهل القرية بدليل قوله بما كانوا يصنعون (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) الإذاقة هنا واللباس مستعاران ، أما الإذاقة فقد كثر استعمالها فى البلايا ، حتى صارت كالحقيقة ، وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف لاشتمالهما على اللباس ومباشرتهما له كمباشرة الثوب (ولقد جاءهم رسول منهم) إن كان المراد بالقرية مكة ، فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والعذاب الذى أخذهم القحط وغيره وإن كانت القرية غير معينة ، فالرسول من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما ، والعذاب ما أصابهم من الهلاك (فكلوا) وما بعده مذكور فى البقرة (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) هذه

وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الآية مخاطبة للعرب الذين أحلوا أشياء وحرموا أشياء كالبحيرة وغيرها مما ذكر فى سورة المائدة والأنعام، ثم يدخل فيها كل من قال هذا حلال أو حرام بغير علم، وانتصب الكذب بلا تقولوا أو يكون قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب وما فى قوله بما تصف موصولة ويجوز أن ينتصب الكذب بقوله تصف وتكون ما على هذا مصدرية ويكون قوله هذا حلال وهذا حرام معمول لا تقولوا (متاع قليل) يعنى عيشهم فى الدنيا أو انتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعنى قوله فى الأنعام حرمنا كل ذى ظفر إلى آخر الآية، فذكر ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود، ليعلم أن تحريم ما عدا ذلك افتراء على الله كما فعلت العرب (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) هذه الآية تأنيس لجميع الناس وفتح باب التوبة (إن إبراهيم كان أمة) فيه وجهان: أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم بكماله وجمعه لصفات الخير كقول الشاعر «فليس على الله بمستنكر ۝ أن يجمع العالم فى واحد ۝ والآخر أن يكون أمة بمعنى إمام كقوله إنى جاعلك للناس إماما، قال ابن مسعود والأمة معلم الناس الخير، وقد ذكر معنى القانت والحنيف (وآتيناه فى الدنيا حسنة) يعنى لسان الصدق، وأن جميع الأمم متفقون عليه، وقيل يعنى المال والأولاد (لمن الصالحين) أى من أهل الجنة (ولم يكن من المشركين) نفى عنه الشرك لقصد الرد على المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون اليه (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أمر موسى بنى إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصا للعبادة فرضى بعضهم بذلك، وقال أكثرهم بل يكون يوم السبت، فألزمهم الله يوم السبت، فاختلافهم فيه هو ما ذكر والسبت على هذا هو اليوم، وقيل اختلافهم فيه: هو أن منهم من حرم الصيد فيه، ومنهم من أحله، فعاقبهم الله بالمسخ قردة، فالمعنى: إنما جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه، والسبت على هذا مصدر من سبت إذا عظم يوم السبت، قاله الزمخشرى، وتقتضى الآية أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم عليه السلام (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) المراد بالسبيل هنا الإسلام، والحكمة هى الكلام الذى يظهر صوابه، والموعظة هى الترغيب والترهيب، والجدال هو الرد على المخالف، وهذه الأشياء الثلاثة يسميها

الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ *

أهل العلوم العقلية بالبرهان والخطابة والجدال ، وهذه الآية تقتضي مهادنة نسخت بالسيف ، وقيل إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطف والرفق غير منسوخ ، وإنما السيف لمن لا تنفعه هذه الملاطفة من الكفار وأما العصاة فهي في حقهم محكمة إلى يوم القيامة باتفاق (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) المعنى إن صنع بكم صنع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه ، والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية ، وسميت الأولى عقوبة لمشاكلة اللفظ ، ويحتمل أن يكون عاقبتم بمعنى أصبتم عقبي : كقوله في الممتحنة فعاقبتم بمعنى غنمتم فيكون في الكلام تجنيس ، وقال الجمهور : إن الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب لما بقر المشركون بطنه يوم أحد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم ، فنزلت الآية فكفر النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه وترك ما أراد من المثلة ؛ ولا خلاف أن المثلة حرام ، وقد وردت الأحاديث بذلك ؛ ويقتضي ذلك أنها مدنية ، ويحتمل أن تكون الآية عامة ، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال ، وتكون على هذا مكية كسائر السورة ؛ واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في مال ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه ، فأجاز ذلك قوم لظاهر الآية ، ومنعه مالك لقوله صلى الله عليه وسلم أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) هذا ندب إلى الصبر وترك عقوبة من أساء إليك فإن العقوبة مباحة ، وتركها أفضل ، والضمير راجع للصبر ، ويحتمل أن يريد بالصابرين هنا العموم ، أو يراد به المخاطبون كأنه قال خير لكم (واصبر وما صبرك إلا بالله) هذا عزم على النبي صلى الله عليه وسلم في خاصته على الصبر ، ويروى أنه قال لأصحابه أما أنا فأصبر كما أمرت ، فماذا تصنعون ؟ قالوا نصبر كما ندبنا ثم أخبره أنه لا يصبر إلا بمعونة الله ؛ وقد قيل إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف ، وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال ، وأما إن كان الصبر يراد به ترك المثلة التي فعل مثلها بحمزة فذلك غير منسوخ (ولا تحزن عليهم) أي لا تتأسف لكفرهم (ولا تك في ضيق مما يمكرون) أي لا يضق صدرك بمكرهم ، والضيق بفتح الضاد تخفيف من ضيق كميت وميت ، وقرئ بالكسر وهو مصدر ، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدران (إن الله مع الذين اتقوا) يريد أنه معهم بمعونته ونصره (والذين هم محسنون) الإحسان هنا يحتمل أن يراد به فعل الحسنات ، والمعنى الذي أشار له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهذا هو الأظهر ، لأنه رتبة فوق التقوى .